سلسلة تفريغات دروس الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي ③

برنامج السرد المجود الأول

ختم موطأ الإمام مالك

إملاء

الإمام العلامة عبد الحميد بن محمد المصطفى

الشهير بابن باديس الجزائري

المتوفى ١٣٥٩ رحمه الله

قرأ على فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تفريغ وتنسيق

محمد بن أحمد الجزائري

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا تفريغ للكتاب الثاني من الكتب السّتّة التي انتقاها فضيلة الشيخ: **صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي**- حفظه الله تعالى- لتكون خاتمة لقراءة كتاب **موطأ الإمام مالك** - رحمه الله تعالى- في برنامج السَّرد المجوّد الأول.

ويليه - بحول الله وقوته- بقية الكتب الأربعة، والفوائد المنثورة في إقراء كتاب الموطأ.

والشيخ **صالحٌ** - حفظه الله تعالى- وإن لم يعلق على هذا الكتاب – وقد بيّن في كشف الغطّا أنه سيوضح معاني هذا الكتاب وباقي الكتب الخمسة في برامج أخرى - بإذن الله عزوجل- فإنّي التزمت إخراجها قبلُ.

والنسخة المعتمدة في إخراج هذا الكتاب هي الطبعة الأصلية لمجلة الشهاب- الجزء السابع المجلد الخامس الصادر في ١ رجب ١٣٥٨ ، لأنها -في نظري القاصر- أقرب لمراد الإمام ابن باديس

-رحمه الله تعالى- من الطبعة التي أعيد صَفُّهَا بَعْدُ. والله أعلم

والله أسأل الإخلاص في القول والعمل.

أخوكم

محمد بن أحمد الجزائري

٢٩ رجب ١٤٣٥

Omam19@gmail.com

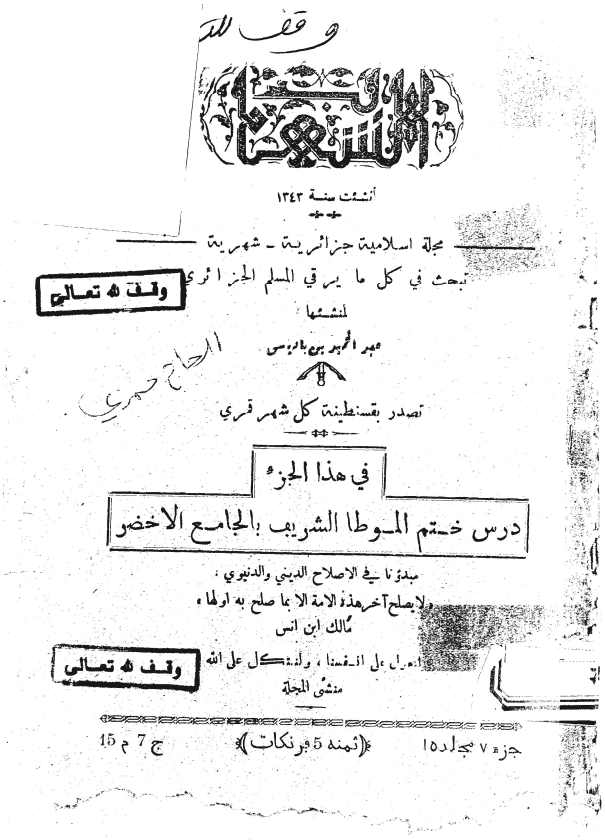

وقف لله

الشهاب

أنشئت سنة ١٣٤٣

مجلة اسلامية جزائرية - شهرية

تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري

وقف لله تعالى

لمنشئها

عبد الحميد بن باديس

الحاج حمري

تصدر بقسنطينة كل شهر قمري

في هذا الجزء

درس ختم الموطا الشريف بالجامع الاخضر

مبدؤنا في الاصلاح الديني والدنيوي :

«لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها »

مالك ابن انس

وقف لله تعالى

«لنعول على انفسنا ، ولنتوكل على الله»

منشئ المجلة

جزء ٧ مجلد ١٥ «ثمنه 5 فرنكات» ج 7 م 15

(١) درس ختم الموطا

كما نقله في وقت الالقاء بعض التلامذة

وقد اجتهد ان يؤدي اغلب المقصود

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . وبه أستقني واستعين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الاسعد الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .

بالسند المتصل الى الامام ابي عبد الله ملك بن أنس رضي الله عنه قال : « اسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم » وبه قال ملك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لي خمسةُ اسماء ، انا محمد و انا احمدُ وانا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ وانا الحاشر الذي يُحشَرُ الناسُ على قدمي وانا العاقِبُ»

[تمهيد]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

[الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينا، وبعث إلينا رسولا صادقا أمينا، نحمده سبحانه حق الحمد، ونسأله التوفيق للرشد، ونصلي ونسلم على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحابته الأخيار المنتجبين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:][*]

سألت مرة أحد شيوخنا، قرأ -رحمه الله- -عزيز الزبيدي- قرأ الموطأ والبخاري ومسلم في مدة يسيرة، شرحا ليست عرضا على شيخه، فقلت: كيف صار لك ذلك؟ قال: نجلس من بعد الفجر إلى قبيل الظهر بساعة نقرأ.

نحن سنجلس اليوم إلى الساعة الثامنة ربما .

---

[*] أتى الشيخ صالح -حفظه الله- بهذه المقدمة عند إقراءه للكتاب الذي قبل هذا الكتاب، ولأن المجلس واحد لم يذكرها هنا، وإنما أضفتها توطئة لما بعدها.

ختم موطأ الإمام مالك

بسندكم رحمكم الله إلى العلامة عبد الحميد بن محمد المصطفى ابن باديس -رحمه الله تعالى- أنه قال في كتابه ختم موطإ الإمام مالك:

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ ثِقَتِي وَأَسْتَعِينُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأَسْعَدِ الكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

بِالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ إِلَى الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ :

(أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ).

وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :((لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ ، أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا العَاقِبُ)).

السَّنَدُ :

رَوَى مَالِكٌ هَذَا الحَدِيثَ مُرْسَلاً ، وَرَوَاهُ عَنْهُ كَذَلِكَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَالأَكْثَرُونَ ، وَجَاءَ مَرْوِياً عَنْهُ مُسْنَدًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ.

وَكَثِيرًا مَا يَرْوِي مَالِكٌ الحَدِيثَ مُسْنَدًا وَمُرْسَلاً ، وَلَا يُرْسِلُ مَالِكٌ، وَلَا يَأْتِي بِبَلاَغٍ فِي الغَالِبِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى عِلْمٍ بِمَنْ يُتْرَكُ مِنَ السَّنَدِ أَنَّهُ مَحْمَلُ الثِّقَةِ وَالقَبُولِ وَالاِعْتِمَادِ ، فَأَمَّا إِذَا شَكَّ فَإِنَّهُ يُصَرِّحُ بِشَكِّهِ ، وَتَصْرِيحُهُ بِالشَّكِّ حِينَ يَشُكُّ يَدُلُّنَا عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ وَاليَقِينِ عِنْدَمَا يَسْكُتُ دُونَ أَنْ يُصَرِّحَ بِالرَّاوِي ، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَلَى شَكٍّ مِنَ الأَمْرِ يُصَرِّحُ، مَا تَقَدَّمَ لَنَا قَرِيبًا فِي بَابِ التَّعَفُّفِ عَنِ المَسْأَلَةِ فَلَمَّا رَوَى عَنِ العَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَوْلَهُ :((**مَا نَقَّصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**)) قَالَ : لَا أَدْرِي أَيَرْفَعُ هَذَا الحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْ لَا .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَدْ جَاءَ مُسْنَدًا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

المَتْنُ :

فِي قَوْلِهِ ﷺ :((لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ)) مَفْهُومَانِ : **مَفْهُومُ الحَصْرِ وَمَفْهُومُ العَدَدِ**.

فَأَمَّا الأَوَّلُ : فَمِنْ تَقْدِيمِ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ.

وَأَمَّا الثَّانِي : فَمِنْ لَفْظِ (خَمْسَةٍ).

لَكِنَّ المَفْهُومَيْنِ لَيْسَا سَوَاءً فَإِنَّ **مَفْهُومَ العَدَدِ** غَيْرُ مُعْتَبَرٍ كَمَا هُوَ أَصَحُّ الأَقْوَالِ ، نَعَمْ يُسْئَلُ عَنْ وَجْهِ الإِقْتِصَارِ عَلَى هَذَا العَدَدِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ غَيْرُهُ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ قَدْ أَنْهَاهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الألفِ ، فَاقْتِصَارُهُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ خَمْسَةٍ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ لِوَجْهٍ اقْتَضَى الإِقْتِصَارَ عَلَيْهَا ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي سُمِّيَ بِهَا فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ ، وَهِيَ الخَمْسَةُ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ أَلفَاظُهَا وَلَا مَعَانِيهَا كَمَا سَيَتَبَيَّنُ.

وَإِذَا كَانَ سُمِّيَ بِغَيْرِهَا فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ فَهَذِهِ هِيَ الأَشْهَرُ وَالأَكْثَرُ وَكَفَى بِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا وَجهًا لِتَخْصِيصِهَا بِالذِّكْرِ.

وَأَمَّا **مَفْهُومُ الحَصْرِ** فِي قَوْلِهِ : ((لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ)) أَيْ: لَيْسَتْ لِغَيْرِي ، فَهُوَ مَفْهُومٌ مُعْتَبَرٌ وَهُوَ حَصْرٌ صَحِيحٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى وَمِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ.

فَأَمَّا الأَوَّلُ : فَإِنَّنَا نَجِدُ مَعَانِيهَا لَيْسَتْ إِلَّا لَهُ ﷺ مُخْتَصًّا بِهَا بَيْنَ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ ﷺ وَهُمُ المُشَارِكُونَ لَهُ فِي الكَمَالَاتِ وَلَكِنَّ اللهَ يُفَضِّلُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ، لَا لِنَقْصٍ فِي المُفَضَّلِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ لِخَصَائِصَ زَائِدَةٍ فِي المُفَضَّلِ.

وَأَمَا الثَّانِي : فَكَذَلِكَ أَيْضًا عَلَى مَا سَنُبَيِّنُ.

((**أَنَا مُحَمَّدٌ**)) مُشْتَقٌّ مِنَ **الحَمْدِ** وَ**الحَمْدُ** هُوَ الثَّنَاءُ بِـذِكْرِ الكَـمَالَاتِ وَالصِّـفَاتِ الفَاضِلَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ أَوْ مِنْ صِفَاتِ الأَفْعَالِ وَعَلَى مَـا هُـوَ مِنْ بَابِ الكَمَالَاتِ أَوْ مِنْ بَابِ الإِنْعَامِ ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ مِنَ الثَّنَاءِ مَـا كَـانَ حَقًّـا وَصِـدْقًا بِمُطَابَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ وَبِمُطَابَقَتِهِ لِمَا فِي القَلْبِ.

وَ**مُحَمَّدٌ** اِسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ **حَمَّدَ** الْمُضَاعَفِ العَيْنِ وَهُوَ يَقْتَضِي التَّكْثِيرَ.

فَالْمُحَمَّدُ هُوَ: ذُو الخِصَالِ الكَثِيرَةِ الحَمِيدَةِ الَّتِي تَقْتَضِي حَمْدَهُ مَرَّةً بَعْـدَ أُخْـرَى ، **فَالْمَحْمُودُ** هُوَ: مَنْ وَقَعَ عَلَيهِ الحَمْدُ وَلَوْ مَرَّةً وَأَمَّا **الْمُحَمَّدُ** فَالَّذِي يَكْثُرُ حَمْدُهُ ، وَهُـوَ فِي الأَصْلِ صِفَةٌ وَقَدْ نُقِلَ مِنَ الوَصْفِيَّةِ إِلَى العَلَمِيَّةِ وَجُعِلَ دَالًا عَلَى الذَّاتِ الْمُسَـمَّاةِ بِهَـذَا الِاسْمِ.

وَالْمُسَمِّي لَهُ بِهَذَا الِاسْمِ هُوَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِإِلهَامٍ مِنَ اللهِ - وَالإِلهَامُ مِنَ اللهِ هُوَ مَا يُوَفِّقُ اللهُ إِلَيهِ العَبْدَ وَيَهْدِيهِ إِلَيهِ دُونَ عِلْمٍ سَابِقٍ وَلَا دَلِيلٍ ظَاهِرٍ وَإِنَّمَا هِيَ هِدَايَةٌ رَبَّانِيَّةٌ تَكُونُ بِإِرْشَادِ القَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ الْمُلْهَمِ إِلَيهِ - فَهَذَا الِاسْمُ النَّبَوِيُّ عَلَمٌ مَنْقُولٌ مِنَ الصِّفَةِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعًا لِلذَّاتِ فَإِنَّ الوَاضِعَ يُلَاحِظُ عِنْدَ الوَضْعِ مَعْنَى تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي نُقِلَ مِنْهَا ، وَيَدُلُّ لِهَذَا مَا جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا سُئِلَ عَنْ تَسْمِيَةِ اِبْنِهِ بِهَذَا الِاسْمِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَسْمَاءِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ - وَمِنْ عَادَاتِهِمْ أَنْ يُحْيُوا ذِكْرَ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ بِتَسْمِيَةِ أَبْنَائِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ - أَجَابَ : إِنِّي لَأَرْجُوا أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ العَرَبِيَّ الوَاضِعَ لِلْعَلَمِ الوَصْفِيِّ يُلَاحِظُ مَعْنَاهُ لَمَّا كَانَ صِفَةً وَبِهَذَا يَكُونُ هَذَا الِاسْمُ وَغَيْرُهُ - مَعَ العَلَمِيَّةِ - مُنْطَوِيًا وَمُشْتَمِلاً عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَلِهَذَا يُعَبِّرُ القَاضِي عِيَاضٌ بِقَوْلِهِ : (فَمِنْ خَصَائِصِهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ أَنْ ضَمَّنَ أَسْمَاءَهُ ثَنَاءَهُ ، فَطَوَى أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ ، عَظِيمَ شُكْرِهِ).

وَمَا كَانَتِ الأَسْمَاءُ مُنْطَوِيَةً عَلَى الثَّنَاءِ إِلَّا مَعَ مُلَاحَظَةِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ العَلَمِيَّةِ.

وَالثَّنَاءُ الَّذِي يَشْتَمِلَ عَلَيهِ هَذَا الِاسْمُ الشَّرِيفُ هُوَ مَا دَلَّ عَلَيهِ مِنْ كَثْرَةِ خِصَالِهِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا، وَيَكُونُ حَمْدُهُ عَلَيْهَا مُتَجَدِّدًا ، وَهَذَا قَدْ تَحَقَّقَ وَهُوَ وَاقِعٌ مُشَاهَدٌ، فَإِنَّهُ ﷺ قَدْ حَمِدَهُ الخَلْقُ وَيَحْمَدُونَهُ دُنْيَا وَأُخْرَى، وَيَزْدَادُ ذَلِكَ فِي المَوَاطِنِ الَّتِي يَزْدَادُ عِلْمُ النَّاسِ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ كَمَالَاتٍ وَمَا أَظْهَرَ عَلَى يَدِهِ مِنْ إِنْعَامَاتٍ ، وَيَزْدَادُ عِلْمُهُمْ بِذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَزْدَادُ تَقَدُّمُهُمْ فِي العِلمِ وَالمَعْرِفَةِ، حَتَّى أَنَّنَا نَرَى فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يُنْصِفُونَهُ فَيَذْكُرُونَ مِنْ كَمَالَاتِهِ وَالخَيْرِ الَّذِي أَصَابَ البَشَرِيَّةَ عَلَى يَدِهِ فَيَشْكُرُونَهُ وَيُكَرِّرُونَ الثَّنَاءَ عَلَيهِ، فَأَمَّا مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ بِهِ فَهُوَ كَثِيرٌ شَهِيرٌ.

ثُمَّ إِنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمَدُونَهُ بِمَا يُشَاهِدُونَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا مَوْقِفُهُ مِنَ الشَّفَاعَةِ العَامَّةِ، فَيَحْمَدُونَهُ الحَمْدَ الْمُتَجَدِّدَ الْمُتَكَرِّرَ عِنْدَمَا يُشَاهِدُونَ مَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ قَبْلُ يَعْرِفُونَ.

وَقَوْلُهُ :((**وَأَنَا أَحْمَدُ**)) وَهُوَ مُشْتَقٌّ أَيْضاً مِنَ **الحَمْدِ**، غَيْرَ أَنَّ فِعْلَهُ **حَمِدَ** السَّالِمُ الْمُسْنَدُ إِلَى الفَاعِلِ، وَهُوَ عَلَمٌ مَنْقُولٌ مِنِ اِسْمِ التَّفْضِيلِ، وَ**الأَحْمَدُ** هُوَ الأَكْثَرُ حَمْدًا مِنْ غَيْرِهِ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّقْلَ تَصْحَبُهُ تِلْكَ الْمُلاَحَظَةُ فَقَدْ سُمِّيَ أَحْمَدَ عَلَى اِعْتِبَارِ أَنَّهُ أَكْثَرُ الخَلْقِ حَمْدًا لله، فَالخَلْقُ كُلُّهُمْ يَحْمَدُونَ اللهَ بِلِسَانِ الحَالِ أَوْ بِلِسَانِ المَقَالِ وَهُوَ أَكْثَرُهُمْ حَمْدًا لله عَلَى كُلِّ حَالٍ.

هَذَا وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ **أَحْمَدَ** مِنْ فِعْلِ **حُمِدَ** المَبْنِيِّ **لِلْنَائِبِ** عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَكْثَرُ **مَحْمُودِيَّةً** مِنْ غَيْرِهِ ، وَتَنْتَفِي مُرَادَفَتُهُ لِلأَوَّلِ بِجَعْلِ الأَوَّلِ رَاجِعًا لِلْكَمِّيَّةِ، أَيْ: لِكَثْرَةِ الصِّفَاتِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيهَا وَجَعْلِ هَذَا رَاجِعًا لِلْكَيْفِيَّةِ أَيْ أَفْضَلِيَّةِ مَا يُحْمَدُ بِهِ ، وَالَّذِي يُقَرِّرُ هَذَا هُوَ الإِمَامُ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ وَيَقُولُ فِي تَقْرِيرِهِ :(لَوْ كَانَ أَحْمَدُ مِنَ المَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ لَكَانَ الأَوْلَى أَنْ يُسَمَّى حَمَّادًا لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُفِيدُ كَثْرَةَ الحَمْدِ).

وَهَذَا مِنْ هَذَا الإِمَامِ عَلَى جَلاَلَتِهِ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ فَإِنَّ أَحْمَدَ عِنْدَمَا يَكُونُ مَنْقُولاً مِنِ اِسْمِ التَّفْضِيلِ الْمُسْنَدِ لِلْفَاعِلِ يُفِيدُ تَفْضِيلَهُ عَلَى جَمِيعِ الحَامِدِينَ، الْمُقِلِّينَ وَالْمُكْثِرِينَ فَهُوَ الأَكْثَرُ حَمْدًا لله مِنْ كُلٍّ، مَنْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ، وَأَمَّا حَمَّادٌ فَإِنَّمَا يُفِيدُ كَثْرَةَ حَمْدِهِ وَمَنْ كَثُرَ حَمْدُهُ قَدْ يُسَاوِيهِ أَوْ يَفُوقُهُ فِيهِ غَيْرُهُ فَأَمَّا أَحْمَدُ فَيُفِيدُ -خُصُوصاً مَعَ حَذْفِ الْمُتَعَلَّقِ- أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ كَثْرَةِ الحَمْدِ إِلَى مَقَامٍ كَانَ فِيهِ أَكْثَرَ حَمْدًا لله مِنْ كُلِّ حَامِدٍ.

عَلَى أَنَّ هُنَالِكَ شَيْئًا آخَرَ لاَبُدَّ مِنْ مُلاَحَظَتِهِ وَهُوَ أَنَّ الِاسْمَيْنِ يُرَادُ بِهِمَا الدَّلاَلَةُ عَلَى تَكْمِيلِ اللهِ لَهُ مِنْ نَاحِيَتَيْنِ:

النَّاحِيَةُ الأُولَى : الَّتِي يَكُونُ فِيهَا فِي مَقَامِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ بِالثَّنَاءِ عَلَيهِ وَهُوَ مَا يَقْتَضِيهِ اسْمُ **مُحَمَّدٍ**.

وَالنَّاحِيَةُ : الَّتِي يَكُونُ فِيهَا فِي مَقَامِ الخُضُوعِ وَالخُشُوعِ بِحَمْدِهِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَثَنَائِهِ عَلَيهِ ، وَهُوَ مَا يَقْتَضِيهِ اسْمُ **أَحْمَدَ** المَنْقُولِ مِنَ المُسْنَدِ لِلْفَاعِلِ.

فَمُحَمَّدٌ دَلَّنَا عَلَى مَقَامِهِ الأَوَّلِ الَّذِي **يَكْثُرُ فِيهِ لَهُ الحَمْدُ** . وَأَحْمَدُ دَلَّنَا عَلَى مَقَامِهِ الثَّانِي الَّذِي **يَكْثُرُ فِيهِ مِنْهُ الحَمْدُ** ، وَدَلَّنَا عَلَى أَنَّهُ فِي هَذَا المَقَامِ قَدْ فَاقَ سِوَاهُ وَكَانَ فِيهِ لاَ نَظِيرَ لَهُ ، وَهَذَا المَعْنَى لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْ **حَمَّادٍ** ، عَلَى أَنَّ **أَحْمَدَ** المَأْخُوذَ مِنَ المُسْنَدِ إِلَى الفَاعِلِ هُوَ الَّذِي يُجْرِي القِيَاسَ ، وَالمُتَبَادَرُ إِلَى الأَذْهَانِ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِ التَّفْضِيلِ هُوَ الإِسْنَادُ إِلَى الفَاعِلِ وَلاَ يُفْهَمُ الإِسْنَادُ إِلَى المَفْعُولِ إِلاَّ بِقَرِينَةٍ.

وَحَمْدُهُ للهِ الَّذِي فَاقَ فِيهِ كُلَّ حَامِدٍ لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَنْ إِيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ لِكَمَالاَتِ اللهِ وَإِنْعَامَاتِهِ، فَيَقْتَضِي أَنَّهُ فَاقَ فِيهِمَا جَمِيعَ الخَلْقِ ، وَالإِيمَانُ وَالمَعْرِفَةُ يَقْتَضِيَانِ الطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ فَيَكُونُ قَدْ فَاقَ فِي الطَّاعَةِ جَمِيعَ الخَلْقِ وَبِهَذَا كَانَ هَذَا الاسْمُ مُتَضَمِّنًا لأَكْمَلِ الثَّنَاءِ عَلَيهِ بِأَنَّهُ أَكْمَلُ عَبْدٍ للهِ عِلْمًا وَعَمَلاً.

وَهَذَانِ الِاسْمَانِ الشَّرِيفَانِ مُرَتَّبَانِ فِي التَّسْمِيَةِ بِهِمَا لِلْخَلْقِ، وَالأَسْبَقُ مِنْهُمَا عِنْدَ قَوْمٍ وَهُمُ الأَكْثَرُونَ هُوَ: **أَحْمَدُ** وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ بِهِ فِي الإِنْجِيلِ كَمَا فِي سُورَةِ الصَّفِّ ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ثُمَّ **مُحَمَّدٌ** الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ جَدُّهُ تَوْفِيقًا مِنَ اللهِ وَهُوَ اسْمُهُ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ كَمَا فِي سُورَةِ الفَتْحِ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فَالسَّابِقُ إِذًا هُوَ أَحْمَدُ.

وَالَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى هَذَا يَقُولُونَ أَنَّ : التَّرْتِيبَ بَيْنَهُمَا فِي التَّسْمِيَةِ عَلَى حَسَبِ التَّرْتِيبِ الَّذِي بَيْنَ المَقَامَيْنِ المَدْلُولَيْنِ لَهُمَا، فَإِنَّ :

المَقَامَ الأَوَّلَ : هُوَ مَقَامُ عُبُودِيَّتِهِ وَحَمْدِهِ لله.

وَالمَقَامُ الثَّانِي : هُوَ مَقَامُ كَمَالِهِ بِأَخْلاَقِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، فَهُوَ قَدْ حَمِدَ اللهَ أَكْثَرَ الحَمْدِ فِي مَقَامِ عُبُودِيَّتِهِ فَجَازَاهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ كَانَ مَحْمُودًا مُكَرَّرًا حَمْدُهُ فِي مَقَامِ كَمَالاَتِهِ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَهُوَ مَا كَانَ **مُحَمَّدًا** حَتَّى كَانَ **أَحْمَدَ**، وَهَذَا تَرْتِيبٌ ظَاهِرٌ وَجِيهٌ، وَيَكُونُ وَجْهُ تَقْدِيمِ اسْمِ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الحَدِيثِ عَلَى هَذَا القَوْلِ أَنَّهُ : أَشْهَرُ أَسْمَائِهِ وَأَنَّهُ اسْمُهُ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَسْبَقِيَّةِ اسْمِهِ **مُحَمَّدٍ** وَأَنَّهُ سُمِّيَ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى هَذَا بِأَدِلَّةٍ وَنَقَلُوا مِنَ التَّوْرَاةِ نُقُولاً ، وَوَجْهُ التَّقْدِيمِ لِاسْمِ مُحَمَّدٍ عَلَى هَذَا القَوْلِ أَنَّهُ نَظَرٌ إِلَى أَنَّهُ يُوجَدُ عَلَى فِطْرَةِ الكَمَالِ وَيَشِبُّ عَلَى الكَمَالاَتِ وَالأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ الَّتِي يَتَكَرَّرُ حَمْدُهُ عَلَيهَا وَقَدْ حَمِدَهُ أَهْلُهُ صَبِيًّا رَضِيًّا ، وَحَمِدَهُ قَوْمُهُ شَابًّا سَرِيًّا وَسَمَّوْهُ بِالأَمِينِ ثُمَّ لَمَّا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ **أَحْمَدَ** الخَلْقِ للهِ بِمَا كَانَ لَهُ حِينَئِذٍ مِنَ العِلْمِ بِكَمَالاَتِ اللهِ وَإِنْعَامَاتِهِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَفْطُورًا عَلَى الإِيمَانِ وَالعِلْمِ وَالكَمَالِ، وَقَدْ كَانَ حَامِدًا للهِ مِنْ يَوْمِ إِدْرَاكِهِ لَكِنَّ حَمْدَ النَّبِيِّ الرَّسُولِ لَيْسَ كَحَمْدِ مَنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا رَسُولاً ، فَعَلَى هَذَا النَّظَرِ مِنَ التَّرْتِيبِ يَظْهَرُ وَجْهُ الأَسْبَقِيَّةِ لِاسْمِ مُحَمَّدٍ عَلَى هَذَا القَوْلِ.

((وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ)) وَالمَحْوُ هُوَ الإِزَالَةُ.

وَفَسَّرَ لَنَا ﷺ هَذَا الِاسْمَ دُونَ الِاسْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ لأَنَّ اشْتِقَاقَهُمَا كَافٍ فِي ظُهورِ مَعْنَاهُمَا بِخِلاَفِ المَاحِي فَإِنَّهُ قَدْ يَخْفَى المُرَادُ مِنْهُ بِاعْتِبَارِ الشَّيْءِ المَمْحُوِّ، وَلِذَلِكَ بَيَّنَهُ بِقَولِهِ ﷺ : ((الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ)).

وَهَذَا المَحْوُ الَّذِي كَانَ بِهِ ﷺ إِمَّا **عِلْمِيٌّ** وَإِمَّا **عَمَلِيٌّ** وَقَدْ حَصَلَ المَحْوُ بِهِ ﷺ لِلكُفْرِ **عِلْمِيًّا** وَ**عَمَلِيًّا**.

فَأَمَّا الأَوَّلُ: فَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ وَبَرَاهِينَ سَاطِعَةٍ عَلَى صِدْقِهِ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الحَقِّ وَالهُدَى وَالنُّورِ، جَاءَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ غَيْرُهُ وَكُلُّ ذَلِكَ مَحْوٌ وَإِزَالَةٌ لِلْكُفْرِ فِي العَالَمِ العِلْمِيِّ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَإِنَّهُ ﷺ جَاءَ وَالأَرْضُ فِي ظُلْمَةٍ مِنَ الكُفْرِ بَيْنَ ضَلاَلِ أَهْلِ الكِتَابِ وَوَثَنِيَّةِ المُشْرِكِينَ وَأَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنْ كُفْرِ الكَافِرِينَ ، فَدَعَى إِلَى اللهِ وَصَبَرَ وَجَاهَدَ ، فَمَا مَاتَ ﷺ حَتَّى انْتَشَرَ الإِسْلاَمُ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ كُلِّهَا الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي إِنْقَاذِ البَشَرِيَّةِ وَمَصْدَرًا لِهِدَايَتِهَا فَهَذَا **مَحْوٌ عَمَلِيٌّ**، وَمَحْوٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ زُوِيَتْ وَطُوِيَتْ لَهُ الأَرْضُ حَتَّى شَاهَدَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَتَبْلُغُ دَعْوَتُهُ إِلَى مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَفِي الأَمَدِ القَصِيرِ ظَهَرَ الإِسْلاَمُ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَانْمَحَى سُلْطَانُ الكُفْرِ وَانْهَدَّتْ عُرُوشُ الجَبَابِرَةِ ، عَرْشُ القَيَاصِرَةِ بِالشَّامِ وَعَرْشُ الأَكَاسِرَةِ بِالعِرَاقِ وَتَتَابَعَ المَحْوُ وَالإِزَالَةُ.

قَالَ :((يَمْحُو اللهُ)) لأَنَّ الخَالِقَ إِنَّمَا هُوَ اللهُ ، وَيَقُولُ : ((بِيَ)) لأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ ، وَيُفِيدُ الْمُضَارِعُ أَنَّ المَحْوَ يَتَجَدَّدُ، وَكَذَلِكَ كَانَ، فَمَا زَالَ المَحْوُ **العِلْمِيُّ** يَتَجَدَّدُ فَمَا نَجَمَتْ ضَلاَلَةٌ إِلاَّ وَكَانَ فِيمَا جَاءَ بِهِ حُجَّةٌ دَامِغَةٌ لَهَا وَمَازَالَ المَحْوُ **العَمَلِيُّ** كَذَلِكَ يَتَجَدَّدُ وَالإِسْلاَمُ يَنْتَشِرُ مِنْ نَفْسِهِ انْتِشَارًا لاَ يَلْحَقُهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ يُنْفِقُونَ فِي نَشْرِ نِحَلِهِمُ الأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، وَيُسَخِّرُونَ القُوَّاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ الهَائِلَةِ، وَلَيْسَ انْتِشَارُهُ فِي خُصُوصِ الأُمَمِ الْمُنْحَطَّةِ بَلْ فِي الأُمَمِ الرَّاقِيَةِ وَالَّذِينَ سَبَقُوا إِلَيهِ مِنْهَا هُمْ عُلَمَاءُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكْبَرَ آيَاتِ الإِسْلاَمِ هِيَ آيَاتُهُ العِلْمِيَّةُ الخَالِدَةُ فَالمَحْوُ يَتَجَدَّدُ تَجَدُّدًا مُشَاهَدًا مُسْتَمِرًّا بِهَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ.

((وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي)) الحَشْرُ: الجَمْعُ.

وَتَقْدِيرُ الكَلاَمِ عَلَى أَثَرِ قَدَمِي وَجَمْعُ النَّاسِ عَلَى أَثَرِ قَدَمِهِ كِنَايَةٌ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ لَهُ وَالمَعْنَى أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى شَرِيعَتِهِ جَمْعًا تَشْرِيعِيًّا فَلاَ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا إِلاّ بِاتِّبَاعِهِ فِي شَرِيعَتِهِ وَالسَّيْرِ عَلَى أَثَرِ أَقْدَامِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ المِلَلِ الأُخْرَى أَوْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ فَلاَ نَجَاةَ لِكَافِرٍ مِنْ ضَلاَلِ الكُفْرِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ، وَلاَ نَجَاةَ لِمُسْلِمٍ مِنْ ضَلاَلِ البِدْعَةِ إِلاّ بِاتِّبَاعِ سُنَتِهِ. وَيُفِيدُ المُضَارِعُ فِي قَوْلِهِ: يَحْشُرُ أَنَّ هَذَا الجَمْعَ مُتَجَدِّدٌ لأَنَّ شَرِيعَتَهُ دَائِمَةٌ وَسُنَّتَهُ بَاقِيَةٌ فَمَا مِنْ جِيلٍ إِلاّ وَهُوَ مُكَلَّفٌ بِالسَّيْرِ عَلَى قَدَمِهِ وَذَلِكَ مَعْنَى تَجَدُّدِ جَمْعِ النَّاسِ جَمْعًا تَشْرِيعِيًّا عَلَى اِتِّبَاعِهِ.

وَأَسْنَدَ الحَشْرَ لِنَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ : الحَاشِرُ لِأَنَّهُ الكَاسِبُ المُبَاشِرُ المُبَلِّغُ عَنِ اللهِ شَرْعَهُ لِعِبَادِهِ ، وَقَالَ : يَحْشُرُ بِاسْنَادِ الحَشْرِ إِلَى اللهِ وَحُذِفَ الفَاعِلُ لِلْعِلْمِ بِهِ مِنَ المَعْنَى وَسِيَاقِ الكَلاَمِ لِأَنَّهُ هُوَ الخَالِقُ المُشَرِّعُ عَلَى وِزَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ ﴾ [الأعراف: ٣٧] وَقَوْلِهِ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

((وَأَنَا العَاقِبُ)) هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ شَيْئًا وَيَأْتِي بَعْدَهُ وَهُوَ ﷺ جَاءَ بَعْدَ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَخَلَفَهُمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مُفَسَّرًا فَقَالَ ﷺ :((وَأَنَا العَاقِبُ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ)) وَعِنْدَ غَيْرِ مُسْلِمٍ ((الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدِي)) وَأَفَادَ بِالتَّفْسِيرِ أَنَّهُ لَا يَعْقُبُهُ غَيْرُهُ فَهُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ.

تَقَدَّمَ لَنَا فِي صَدْرِ الدَّرْسِ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : ((لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ)) يَقْتَضِي اخْتِصَاصَهُ بِهَا وَهُوَ اقْتِضَاءٌ صَحِيحٌ وَمُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ لَيْسَتْ إِلَّا لَهُ، إِذْ لَمْ يُسَمِّ اللهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا بِوَاحِدٍ مِنْهَا، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالتَّسْمِيَةِ بِهَا مِنَ اللهِ بَيْنَ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ.

نَعَمْ قَدْ سَمَّى بَعْضُ العَرَبِ أَبْنَائَهُمْ **مُحَمَّدًا** قَبْلَ البِعْثَةِ بِقَلِيلٍ وَهُمْ نَفَرٌ قَلِيلٌ وَلَمْ يُعْرَفُوا بِنُبُوَّةٍ وَمِنْهُمْ مِنْ أَسْلَمَ فَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ ذَلِكَ القَلِيلُ النَّادِرُ فِي حُكْمِ العَدَمِ ، عَلَى أَنَّ المَقْصُودَ بِتَخْصِيصِهِ تَخْصِيصُهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ ، وَالشَّيْءُ إِنَّمَا يَفْضُلُ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ فِي مَنْزِلَتِهِ **فَمُحَمَّدٌ** ﷺ لَمَا تُذْكَرُ فَضَائِلُهُ وَخُصُوصِيَّاتُهُ إِنَّمَا تُذْكَرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَإِذَا قُلْنَا أَنَّ **مُحَمَّدًا** ﷺ خُصَّ بِكَذَا ، بِهَذَا الِاسْمِ مَثَلًا فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنَا لَا نَجِدُهُ لِمِثْلِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، فَهَذَا الِاخْتِصَاصُ اللَّفْظِيُّ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ.

وَكَذَلِكَ هُوَ مُخْتَصٌّ بِهَا مِنْ جِهَةِ مَعَانِيهَا فَلَهُ مِنَ الكَمَالَاتِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا وَالإِنْعَامَاتِ الَّتِي جَعَلَهُ اللهُ سَبَبًا فِيهَا وَالمَوَاقِفِ الَّتِي يَقِفُهَا مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ، فَلَيْسَ يَنَالُ غَيْرُهُ مِنَ الحَمْدِ مِثْلَ مَا يَكُونُ لَهُ مِنَ اللهِ وَمِنَ النَّاسِ وَهُوَ يُقَابِلُ تِلْكَ النِّعَمَ الرَّبَّانِيَّةَ عَلَيهِ بِالحَمْدِ، فَلَا يَكُونُ الحَمْدُ مِنْ أَحَدٍ مِثْلَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ للهِ.

وَكَفَى فِي هَذَا حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ الثَّابِتُ المَشْهُورُ فَإِنَّهُ لَمَّا يَخِرُّ سَاجِدًا للهِ يَفْتَحُ عَلَيهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الحَمْدِ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا هُوَ مِنْ قَبْلُ فَقَدْ بَلَغَ فِي حَمْدِهِ للهِ مَقَامًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ ، وَلَمَّا يَتَقَبَّلُ اللهُ شَفَاعَتَهُ العَامَّةَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ المَوْقِفِ كُلُّهُمْ فِي ذَلِكَ المَقَامِ المَحْمُودِ ، فَقَدْ بَلَغَ مِنْ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ مَقَامًا لَمْ يَبْلُغْهُ غَيْرُهُ ، فَبَانَ اخْتِصَاصُهُ ﷺ بِمَعْنَى الِاسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ **مُحَمَّدٍ** وَ**أَحْمَدَ** دُونَ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَكَذَلِكَ الِاسْمُ الثَّالِثُ فَإِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِمَعْنَاهُ، وَإِذَا رَاجَعْنَا تَوَارِيخَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّنَا لاَ نَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ مُحِيَ بِهِ مِنَ الكُفْرِ مَا مُحِيَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلْنَقْتَصِرْ عَلَى هَذَيْنِ النَّبِيَّيْنِ الكَرِيمَيْنِ، مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ مِنَ القُرْآنِ مَا قَاسَى مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ مَا جَفَّتْ أَقْدَامُهُمْ مِنْ مَاءِ البَحْرِ حَتَّى قَالُوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: ١٣٨] وَمَا تَقُصُّهُ كُتُبُهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ تَرْسَخْ لَهُمْ قَدَمٌ فِي الإِيمَانِ فَأَيُّ مَحْوٍ هُنَا.

وَأَمَّا عِيسَى ﷺ فَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ وَمَا آمَنَ بِهِ إِلاَّ أَفْرَادٌ ثُمَّ بَقِيَتْ دَعْوَتُهُ مَغْمُورَةً ، وَمَا انْتَشَرَتِ النَّصْرَانِيَّةُ المَنْسُوبَةُ إِلَيهِ بَاطِلاً إِلاّ بَعْدَ ثَلاَثِمِئَةِ سَنَةٍ عَلَى يَدِ مَلِكٍ بِيزَنْطَا قُسْطَنْطِينَ.

عَلَى أَنَّهُمَا عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمْ يُرْسَلاَ رِسَالَةً عَامَّةً حَتَّى يَعُمَّ المَحْوُ بِهِمَا، وَإِنَّمَا أُرْسِلاَ رِسَالَةً خَاصَّةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا لَمْ يَأْتِيَا مِنَ الآيَاتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِمَحْوِ كُلِّ كُفْرٍ وَبَاطِلٍ، وَكَفَى بِآيَةِ القُرْآنِ الخَالِدَةِ عَلَى الزَّمَانِ، المُتَجَدِّدَةِ عَلَى الأَجْيَالِ.

فَهَذَا يُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّ المَحْوَ **العِلْمِيَّ** وَ**العَمَلِيَّ** بِأَكْمَلِهِ وَأَشْمَلِهِ إِنَّمَا هُوَ خُصُوصِيَّةٌ لَهُ ﷺ.

وَلَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ أَنَّ العَرَبَ قَدِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ فَأَيْنَ هُوَ المَحْوُ ؟ فَالجَوَابُ أَنَّ الرِّدَّةَ لَمْ تَكُنْ عَامَّةً ، فَإِنَّ الأَكْثَرَ وَالأَظْهَرَ هُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الإِسْلاَمِ وَالطَّاعَةِ لِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَدِّلُوا شَيْئًا ، وَطَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ بَقِيَتْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَإِنَّمَا امْتَنَعَتْ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تَوَقَّفَ عُمَرُ وَغَيْرُهُ فِي قِتَالِهَا وَشَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِقِتَالِهَا وَرَجَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَيهِ ، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى ارْتَدَّتْ عَنِ الإِسْلاَمِ جُمْلَةً كَأَصْحَابِ طُلَيْحَةَ وَسَجَاحِ – وَقَدْ رَاجَعَا الإِسْلاَمَ بَعْدُ – وَالأَسْوَدُ وَمُسَيْلِمَةُ وَكَانَ فِي غِمَارِ هَؤُلاَءِ المُرْتَدِّينَ أَفْرَادٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ يُقَاوِمُونَ وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ تَنْتَظِرُ لِمَنْ تَكُونُ الغَلَبَةُ.

وَكَانَ السِّرُّ الأَكْمَلُ فِي هَذِهِ الرِّدَّةِ عَلَى تَفْصِيلِهَا أَنْ يَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ اتَّبَعُوهُ لأَنَّهُ نَبِيٌّ لاَ لأَنَّهُ عَرَبِيٌّ.

لَقَدْ ثَبَتَ المَحْوُ بِهِ مُبَاشَرَةً فِي الأَكْثَرِ الأَظْهَرِ، وَثَبَتَ المَحْوُ بِهِ بِوَاسِطَةِ خَلِيفَتِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِمَّنِ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللهِ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وَالمَحْوُ عَلَى يَدِ هَؤُلاَءِ السَّادَةِ مَحْوٌ بِهِ وَهَكَذَا كُلُّ مَحْوٍ يَقَعُ عَلَى يَدِ أَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فَهُوَ مَحْوٌ بِهِ وَلَهُ مِثْلُ حَسَنَاتِ مُبَاشِرِيهِ عَلَى قَاعِدَةِ السَّابِقِ لِلْخَيْرِ والبَادِيءِ بِهِ وَالدَّاعِي إِلَيهِ.

وَكَذَلِكَ الِاسْمُ الرَّابِعُ فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِمَعْنَاهُ لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْمَعِ النَّاسَ جَمْعًا تَشْرِيعِيًّا عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَأُرْسِلَ هُوَ ﷺ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.

وَكَذَلِكَ الِاسْمُ الخَامِسُ فَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِخَتْمِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَجْمَعِينَ.

هَذِهِ الأَسْمَاءُ الشَّرِيفَةُ نَأْخُذُ مِنْهَا **حَظَّ العِلْمِ** وَ**حَظَّ العَمَلِ**.

فَأَمَّا حَظُّ العِلْمِ: فَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَأَمَّا حَظُّ العَمَلِ: فَعَلَيْنَا إِذْ عَلِمْنَا مَعْنَى اسْمِهِ **مُحَمَّدٍ** أَنْ نَسْتَكْثِرَ مِنَ الأَخْلاَقِ الطَّيِّبَةِ وَالأَعْمَالِ النَّافِعَةِ وَالمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ مِمَّا نَنَالُ بِهِ الحَمْدَ مِنَ اللهِ وَالنَّاسِ.

وَعَلَيْنَا إِذْ عَلِمْنَا مَعْنَى اسْمِهِ **أَحْمَدَ** أَنْ نُكْثِرَ مِنْ حَمْدِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ:

نِعَمِ الخِلْقَةِ.

وَنِعَمِ الهِدَايَةِ.

فَنَحْمَدُهُ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، وَيَتَضَمَّنُ هَذَا عِلْمَنَا بِهَذِهِ النِّعَمِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَوْسِيعَ دَائِرَةِ مَعْلُومَاتِنَا بِخَلْقِهِ وَبِشَرْعِهِ فَنَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا نَسْتَطِيعُ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ الَّتِي تُوصِلُنَا إِلَى ذَلِكَ وَتَدُلُّنَا عَلَيهِ.

وَعَلَيْنَا إِذْ عَلِمْنَا مَعْنَى اسْمِهِ المَاحِي أَنْ نَعْمَلَ عَلَى مَحْوِ الكُفْرِ وَالضَّلاَلِ وَالشَّرِّ وَالبَاطِلِ، وَكُلِّ مَا يَنْهَى عَنْهُ الإِسْلاَمُ، وَمَا ابْتَدَعَهُ المُبْتَدِعُونَ وَحَمَّلُوهُ إِيَّاهُ.

نَمْحُو ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَحَيْثُمَا اسْتَطَعْنَا وَلاَ سَبِيلَ إِلَى هَذَا المَحْوِ إِلاَّ بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ، وَإِظْهَارِ الإِسْلاَمِ بِسُلُوكِنَا فِي الحَيَاةِ، أَمَامَ النَّاسِ فِي مَظْهَرِهِ الصَّادِقِ الصَّحِيحِ، فَأَعْظَمُ مَا مَحَى بِهِ الكُفْرَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ هُوَ: هَدْيُهُمْ وَسُلُوكُهُمْ وَتَطْبِيقُهُمْ لِلإِسْلاَمِ تَطْبِيقًا صَحِيحًا عَلَى الحَيَاةِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ.

وَعَلَيْنَا إِذْ عَلِمْنَا مَعْنَى اسْمِهِ الحَاشِرِ أَنْ نَتَقَيَّدَ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ، فَلَا نَقُولُ وَلَا نَعْمَلُ وَلَا نَعْتَقِدُ إِلَّا مَا لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا، فَيَكُونُ قَوْلُنَا دَائِمًا: مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ وَمَاذَا فَعَلَ؟ وَكَيْفَ كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ؟ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟ فِي كُلِّ مَا نَقِفُهُ مِنْ مَوَاقِفَ وَمَا يَعْتَرِضُنَا مِنْ أَحْوَالٍ وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ حَشَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى أَثَرِهِ.

وَعَلَيْنَا أَنْ نَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ بِمَا نُبَيِّنُ لَهُمْ مِنْ بَرَاهِينِ الحَقِّ، وَأَدِلَّةِ الصِّدْقِ وَبِمَا نَذْكُرُ لَهُمْ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَحَاسِنِ مَا جَاءَ بِهِ، وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ عَمِلْنَا عَلَى حَشْرِ مَا اسْتَطَعْنَا مِنَ النَّاسِ عَلَى شَرِيعَتِهِ وَجَمَعْنَا مَا أَمْكَنَنَا مِنَ الْقُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَفِي ذَلِكَ الخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَعَلَيْنَا إِذْ عَلِمْنَا اسْمِهِ العَاقِبِ وَهُوَ الخَاتَمُ أَنْ نَرُدَّ كُلَّ مَا يُحْدِثُهُ الْمُحْدِثُونَ مِنْ زِيادَةٍ فِي شَرِيعَتِهِ ، وَنَعُدَّ كُلَّ مَنْ يَأْتِي ذَلِكَ وَيَتَظَاهَرُ بِالإِسْلاَمِ دَجَّالاً مِنَ الدَّجَاجِلَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَهُ دَجَاجِلَةٌ وَكَذَّابُونَ، وَأَوَّلُهُمْ مُسَيْلِمَةُ وَالْمُتَنَبِّئُونَ الكَذَبَةُ، فَلاَ قَوْلَ إِلاَّ قَوْلُهُ وَلَا هَدْيَ إِلّا هَدْيُهُ وَلَا إِسْلاَمَ إِلاَّ مَا جَاءَ بِهِ.

هَا أَنَّ مَالِكًا – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ، وَجَازَاهُ عَنَّا أَحْسَنَ الجَزَاءِ – قَدْ خَتَمَ كِتَابَهُ الجَلِيلَ بِهَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ المُشْتَمِلِ عَلَى هَذِهِ الأَسْمَاءِ النَّبَوِيَّةِ الكَرِيمَةِ فَهَلْ هُنَالِكَ مِنْ نُكْتَةٍ ؟

إِنَّ هَذَا المُوَطَّأَ هُوَ أَقْدَمُ كِتَابٍ لَنَا أَلَّفَهُ إِمَامٌ عَظِيمٌ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ كِتَابٌ يُعَلِّمُنَا **العِلْمَ وَالعَمَلَ**، وَيُعَرِّفُنَا كَيْفَ نَفْهَمُ وَكَيْفَ نَسْتَنْبِطُ وَكَيْفَ نَبْنِي الفُرُوعَ عَلَى الأُصُولِ ، يُعْطِينَا هَذَا كُلَّهُ وَأَكْثَرَ مِنْهُ بِصَرِيحِ بَيَانِهِ، وَبِأُسْلُوبِ تَرْتِيبِهِ لِلأَحَادِيثِ وَالآثَارِ وَالمَسَائِلِ، وَإِنَّ شُرَّاحَ هَذَا الكِتَابِ الجَلِيلِ لَمْ يُوفُوهُ حَقَّهُ – فِي نَظَرِي القَاصِرِ – مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ نَوَاحِيهِ.

وَمِمَّا هُوَ مَشْهُورٌ مِنِ ابْتِكَارِ مَالِكٍ فِي كِتَابِهِ، هَذَا الكِتَابَ الجَامِعَ الَّذِي خَتَمَ بِهِ المُوَطَّأَ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى مَسَائِلَ عَدِيدَةٍ مِنْ أُمَّهَاتِ الشَّرِيعَةِ فِي العَقَائِدِ وَالأَخْلاَقِ وَالآدَابِ وَالأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا، فَنَظَمَهَا فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ وَسَمَّاهَا بِالكِتَابِ الجَامِعِ، وَهَذِهِ الأُصُولَ الَّتِي نَظَمَهَا فِي هَذَا الكِتَابِ بَنَى عَلَيْهَا مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ فُرُوعًا، وَعَقَدَ عَلَيْهَا أَبْوَابًا كَالبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَإِنَّ مَالِكًا لَمْ يَذْكُرْ فِي مُوَطَّئِهِ كِتَابًا خَاصًّا بِالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ كَمَا فَصَّلَ ذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَسْمَاءَهُ الشَّرِيفَةَ ﷺ فَكَفَاهُ، وَذِكْرُ أَسْمَائِهِ مُتَضَمِّنٌ لِسِيرَتِهِ ﷺ فَكَفَاهُ فِي ذِكْرِ حَيَاتِهِ ﷺ أَنْ يَذْكُرَ أَسْمَاءَهُ.

وَلَمَّا كَانَتْ سِيرَتُهُ مِنْ بِدَايَتِهَا إِلَى نِهَايَتِهَا هِيَ الْمِثَالَ الصَّادِقَ لِلشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَالسِّفْرَ الجَامِعَ لِلدِّينِ الإِسْلاَمِيِّ كُلِّهِ، خَتَمَ كِتَابَهُ بِهَذَا الحَدِيثِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى هَذِهِ الأَسْمَاءِ الْمُتَضَمِّنَةِ لَهَا ، وَهُوَ كَالتَّحْصِيلِ بَعْدَ التَّفْصِيلِ.

وَ**نُكْتَةٌ أُخْرَى** وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا نَأْخُذُهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ عِلْمًا وَعَمَلًا فَإِنَّنَا نَأْخُذُهُ لِنَبْلُغَ بِهِ مَا نَسْتَطِيعُ مِنْ كَمَالٍ فِي حَيَاتِنَا الفَرْدِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْمِثَالُ الكَامِلُ لِذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ حَيَاةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي سِيرَتِهِ الطَّيِّبَةِ ، فَهَذَا الحَدِيثُ بَعْدَمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الكِتَابِ كُلِّهِ مِثْلُ الغَايَةِ مِنَ الوَسِيلَةِ.

فَسِيرَتُهُ ﷺ هِيَ الجَامِعَةُ لِمَحَاسِنِ الإِسْلاَمِ وَالغَايَةُ لِكُلِّ كَمَالٍ، وَمِنْ أَبْدَعِ الْمُنَاسَبَةِ لِخَتْمِ الكِتَابِ أَنْ كَانَ آخِرُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ الشَّرِيفَةِ هُوَ العَاقِبُ، وَالعَاقِبُ هُوَ الخَاتَمُ عَلَيهِ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الآلِ وَالتَّابِعِينَ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصَّافات: ١٨٠ - ١٨٢]